شهادات المنصفين من المستشرقين ومن غير المسلمين للرسولﷺ والقرآن الكريم والحضارة الإسلامية وأثرها العقدي (دراسة استقرائية تحليلية)

الدكتور/ أبوبكر عبد المقصود محمد كامل
أستاذ العقيدة والأديان المشارك بقسم أصول الدين
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة نجران

١٤٤١هـ -٢٠٢٠م

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ ثم أما بعد:

فلقد ألهمت شخصية النبي محمد بن عبدالله ﷺ الكثير من الباحثين في الشرق والغرب، فدرسوا سماتها بفيض من المؤلفات التي صورت حياتهﷺ وتناولت جوانب عظمته وعبقريته، وصفات البطولة الملحمية في سيرته التي انضوت في ثناياها حياة الأمة، تجسدت كحقيقة تاريخية ناصعة عبر دعوته التي أحدثت تغييرا جذريا في حياة تلك القبائل العربية المتناحرة، فأخرجتأمةً رائدةً أخذت بيد أمم وشعوب في معارج الرقي والتقدم، هاديةإياها إلى سبيل النور، ولم تلبث إلا ردحا قصيرا حتىخلت دعوة عالمية معطاءة خيراً وعدالة ومعرفة.

ولا مرية في أن أصحاب الرسالة العظيمة عظماء في ذواتهم، عظماء في سيرتهم، وهم إن ظهروا بمرحلة تاريخية بعينها تركو بصماتهم ليس في مجتمعاتهم فحسب، بل مدوا ظلهم على التاريخ في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا ما حدا بالمستشرقين المنصفين لدراسة شخصية الرسول ﷺوتحليل صفاته الخِلقية والخُلقية، والاهتمام بدوره القيادي في المجتمع كصاحب رسالة سماوية لم تقتصر على العرب وحدهم، بل كانت رسالة عالمية، صالحة لكل زمان ومكان، ولقد جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿**وما ارْسَلْناكَ إلا كافَّةً للنَّاسِ بَشيراً ونَذيراً**﴾(سبأ:٢٨)و﴿ **قُلْ يا أيُّها الناسُ أني رَسولُ الله إلَيْكُمْ جَميعاً**﴾(يونس:١٥٨)

وإن عظمة الرسول البارزة للعيان، تكمن في أنه كان حامل رسالة سماوية توحيدية، شمولية تهدف أساساً إلى إصلاح حياة البشرية عامة، ونقلها من البربرية والهمجية والوثنية إلى الحضارة والمساواة والعدل والرقي.

ومنذ نعومة أظافره ﷺ تبدت فيه علامات النبوغ والنباهة، وظلت مرافقةً إياه في سائر أطوار حياته،ولذا جذبت المستشرقين لدراستها، كما سبق أن استوقفت كتاب السيرة النبوية المسلمين الذين بحثوا بالتفصيل دلائل النبوة وعلاماتها في حياته ﷺ بدءاً من مولده حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، بل ذهب الكثير منهم إلى بحث علامات نبوته، فيما كان يتردد حوله القول بأن أمة العرب سيكون لها نبيها المرتقب، وسيخرج من مكة، وأنه سيكون من قبيلة قريش، وعلى وجه التحديد من أسرة بني هاشم.

❐ **إشكالية البحث:**اختلفت آراء الباحثين حول الاستشراق بين مؤيد له ومناصر، وبين معاد له لا يرى فيه إلا عدواً متربصاً، وبين معتدل في تقييم آثار الاستشراق ونتائج أبحاثهم، وأصبحت كلمة الاستشراق أو المستشرقين عند كثير من المسلمين لا يفهم منها إلا عدوًا متربصًا بالإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، يشككونويذمون ويتهمون ويلصقون التهم بالإسلام وتراثه، وغفل المسلمون عن الجوانب الإيجابية للاستشراق ومنها: اشتغال المستشرقين بأبحاث كثيرة عن الدين الإسلامي وقضاء حياتهم في البحث والاستقصاء لاستيفاء كل جوانبها،وجمع المخطوطات العربية من كل مكان والعمل على حفظها وصيانتها من التلف، وفهرستها ووصف أجزاء المخطوط بدقة، وقد أنصف كثير من المستشرقين في كتاباتهم، وقالوا كلمة الحق التي سجلها لهم التاريخ، وحادوا بشهاداتهم تلك عن المسلك المذموم لكثير من المستشرقين الغرضين والمأجورين، فكان هذا البحث شهادة تقدير للمستشرقين المنصفين من باب قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**}(المائدة:٨)

❐ **موضوع البحث وأهميته:** إن الاستشراق مسؤول عن نقل المعرفة الإسلامية والشرقية عامة إلى الغرب الذي أفاد من هذه المعرفة؛ حيث عكف المستشرقون على ترجمة النصوص الأساسية في الديانات، وعند أهل الشرق خاصة، وهي العلوم التي كانت أساسًا في النهضة العلمية في الغرب، وهذا يعني أن الاستشراق مسؤول عن نهضة الغرب العلمية، وله

إسهاماته في تقدم العلم في الغرب من خلال ترجمة علوم الشرق إلى اللغات الأوروبية قبل عصر النهضة، وأفاد أيضا في ترجمات معاني القرآن الكريم، والكتابات الإسلامية في تاريخ الأديان، ونقد الكتب المقدسة، وبخاصة اليهودية والنصرانية، وتناول هذا البحث التعريف بالاستشراق ونشأته وأهدافه، وكذلك شهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين عن الرسول ﷺ، كما تناول شهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين عن القرآن الكريم، وختم البحث بشهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين عن الحضارة الإسلامية.

❐ **منهجي في البحث:**وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائيالتحليلي التاريخي القائم على انتقاء وجمع وإيراد وتحليل النصوص وبيان آثارها العقدية على المسلمين وغير المسلمين.

❐ **الدراسات السابقة:** حظي هذا الموضوع بدراسات تناولت موقف المستشرقين من الإسلام ونظرتهم عنه، وكذلك النبي ﷺ والقرآن الكريم والوحي والتشريع ومعاملة غير المسلمين، بعضها تناول الجانب المشرق منه فكانت منصفة في عرضها وتحليلها ونتائجها، ككتاب ربحت محمدا ولم أخسر المسيح د.عبد المعطي الدالاتي، وكتاب شمس الله تسطع على الغرب لزيغريد هونكه، وقصة الحضارة لوولديورانت، والمائة الأوائل (الخالدون مئة أعظمهم محمد) لمايكل هارت، فكانت معبرة عن المنصفين من المستشرقين بخلاف الدراسات الاستشراقية المغرضة وغير المنصفة، وعملي في هذا البحث هو التنقيب عن هذه الكتابات المنصفة لبعض المستشرقين وجمعها مع تحليلها والتعليق عليها وبيان آثارها العقدية.

❐ **خطة البحث:ويشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:**

المقدمة: وتشتمل على إشكالية البحث وموضوعه وأهميته ومنهجه والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: التعريف بالاستشراق ونشأته وأهدافه.

المبحث الثاني: شهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين للرسول ﷺ.

المبحث الثالث: شهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: شهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين للحضارة الإسلامية.

المبحث الخامس: الآثار العقدية لشهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين.

المبحث الأول: التعريف بالاستشراق ونشأته وأهدافه.

مقدمة

كثيراً ما تتردد كلمة الاستشراق على ألسنة الأكاديميين والدارسين وفي الصحف والمجلات وفي الكتب وبخاصة عندما يكون الحديث عن الغزو الفكري أو الثقافي وآثاره السيئة، وقد بالغ البعض في ذم الاستشراق وكل ما يمت إليه بصلة، بينما يرى البعض أن الاستشراق إنما هو جهد علمي لدراسة الشرق، وبخاصة بعض الذين تتلمذوا على أيدي بعض المستشرقين حيث يرون فيهم المثال في المنهجية والإخلاص والدقة وغير ذلك من النعوت المادحة.

والاستشراق علم ذو حدود واسعة وأحيانا غير واضحة؛ إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى؛ لأن المستشرق قد يشارك في أبحاثه علماء الآثار والأصوات، والاشتقاق، والحفريات، واللاهوت والفنون والفلسفة وما شاكل ذلك.

أولا: التعريف بالاستشراق والمستشرقين:

- الاستشراق في اللغة والاصطلاح:

الاستشراق لغة: الاستشراق مشتقة من مادة "شرق"، يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت[١]، والجدير بالذكرأن كلمة الاستشراق لم ترد في المعاجم العربية المختلفة، مثل لسان العرب لابن منظور أو القاموس المحيط للفيروز آبادي[٢]، ولكن يمكن تفكيك اللفظة، فهي مشتقة من الشرق، وهي تعني مشرق الشمس وترمز إلى هذا الحيز المكاني من الكون؛ أما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء(أي الاستشراق) فهي تعني طلب الشرق، أي علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة، هذا في معاجم اللغة العربية، أما في اللغات الغربية

(١) المعجم الوسيط جـ١ صـ ٤٨٢ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٠م.

(٢) محمد عبد الواحد العسري،الفكر الإسلامي بالأندلس في تصورات الاستشراق الاسباني، أعمال المؤتمر الدولي حول الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات جـ٢ صـ٢٥٣.

فهناك من يرى أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي، وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور"[٣].

أما في الاصطلاح: فيتبين للباحث كثرة التعاريف وتعددها، وقد آثرت ذكر تعريفين هما:

– **الأول:** أكاديمي صرف، ويراد به"دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته"، أو "هو علم الشرق أو علم عالم الشرق، ويشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق من لغة وآداب وتاريخ وآثار وفن وفلسفة.."، ويرى مالك بن نبي أن المستشرقين هم الكتاب الغبيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية بما شاءت عقائدهم الخاصة وفائدتهم المادية[٤]

– **الثاني:** تعريف رحب واسع، عرفه إدوارد سعيد قائلا:"الاستشراق هو أسلوب في التفكير قوامه التمييز الوجودي والمعرفي بين غرب قادر على معرفة نفسه، وشرق عاجزعن معرفة ذاته، وقابل لمعرفة الغرب لها".

بمعنى أن الاستشراق تخصص استعماري، أي أنه نشأ في حضن الاستعمار، ونقل أطروحاته، أو أنه حشر الإسلام والشرق في صورة أشبعت وتُشبع طموحات الغرب ومطامعه في استعمار واستمرار امتلاك، الإسلام والعالم الإسلامي[٥].

والخلاصة: أن الاستشراق حركة غربية تركز على استكشاف الثقافة الشرقية ودراستها عن كثب، وتوضيح النظرة الغربية لهذه الثقافة الشرقية، وتدل على مدى تصوير الغرب للبنية التحتية والفكرية والثقافية للحضارة الشرقية، ويوحي مفهوم الاستشراق إلى السلبية بناءً على ما ترتب على التفسيرات القديمة للغرب فيما يتعلق بالحضارات الشرقية وثقافتهم،كما يمكن تعريف الاستشراق بأنّه عبارة عن قيام علماء غير مسلمين من الغرب بإجراء دراسات ذات

(٣) الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، عبد الله علي العليان، المركز الثقافي العربي،ط:١- ١٩٩٦. ص:٩. وما بعدها.

(٤) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره الفكري الإسلامي الحديث، ٦/٥ دار الإرشاد بيروت ط١،١٩٦٩م، وأحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي صـ٥١٢ ط/٢٥.

(٥) الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب ط:١ ١٩٨١ رضوان السيد الحياة ٢٧/٠٤/٢٠٠٣.

أبعاد أكاديمية تركز على دراسة الدين الإسلامي، ومختلف جوانب حياة المسلمين من حيث التاريخ، والشريعة، والحضارة، وتستهدف دراساتهم المسلمين من العرب وغير العرب.

ثانيا: نشأة الاستشراق:

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن الاستشراق نشأ مع ظهور الإسلام وأول لقاء بين الرسول ﷺونصارى نجران، أو قبل ذلك عندما بعث الرسول ﷺ رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية أو حتى في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة، بينما هناكرأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق، ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه(٦) الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين، ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف علىالمسلمين.

ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما، ويرى الباحث الإنجليزي ب.إم هولت P.M. Holt أن القرارات الرسمية لا يتم تنفيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق"(٧).

(٦) يوحنا الدمشقي أو القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٦-٧٤٩م) والملقب بدفاق الذهب نظرًا لفصاحة لسانه، ولد باسم يوحنا منصور بن سرجون عام ٦٧٦ في دمشق خلال حكم الدولة الأموية، إذ كان والده يعمل وزيرًا في بلاط الخلافة الأموية وكذلك كان يعمل جده رئيسًا لديوان الجباية المالية فيها، ألف في الإلهيات والفلسفة ومن أشهر كتبه في نقد الإسلام: "الهرطقة المائة"، المكتبة الأرثوذكسية.

(٧) أصل دراسات الإسلام". ".P. M. Holt (الخرطوم) رقم ١، ١٩٥٢، صـ٢٠-٢٧ .P. M. Holt. "The Origin of Islam Studies."In AL- Kulliya. (Khartoum) No.1, 1952,pp.20-27.

وثمة رأي لـه عدد من المؤيدين أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية ويميل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين(٨).

ولاشك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتبسنوياً ومئات الدوريات، ويعقد المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعا–كما يقول الدكتور النملة –:"من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها"(٩).

ويشير صاحب كتاب فلسفة الاستشراق إلى أن البداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر: "... حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتاباً بعد الآخر.."، ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي أكسفورد عام ١٦٣٨ وكامبريدج عام ١٦٣٢،وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي SilvesterdeSacy وإنشاءالجمعيات الاسشتراقية وأيضاً بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام ١٨٧٣ في عقد مؤتمراته السنوية"(١٠).

ومع أن مصطلح الاستشراق قد ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة؛ لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح

(٨) علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) الصفحات ٢٣-٣١، وقد أورد الدكتور النملة معظم الآراء التي تتعلق بنشأة الاستشراق، الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي.

(٩) المرجع السابق صـ٣٠.

) أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، (القاهرة:بدون 10(ناشر، بدون تاريخ) صـ٧٧.

استشراق، فهذا آربريArberry في بحث له في هذا الموضوع يقول:"والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة ١٦٣٨ويعنى بها:(أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية) وفي سنة ١٦٩١ وصف آنتوني وود Anthony Woodصمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية،وبيرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتونإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق"[١١].

ثالثا: أهداف الاستشراق:لقد بحث العلماء في أهداف الأبحاث والدراسات التي تغص بها مكتبات الاستشراق، ودوافع الكتابة في الطعن في القرآن والحديث ، فذكروا مجموعة من الأهداف والدوافع منها:

١-**الهدف الديني:**إن كنّا أخذنا بالقول إن الاستشراق بدأ بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين فإن الاهتمام الديني يعد أول أهداف الاستشراق وأهمها على الإطلاق، فعندما رأى النصارى وبخاصة رجال الدين فيهم أن الإسلام انتشر في المناطق التي كانت للنصرانية، وأقبل كثير من النصارى على الدين الإسلامي ليس لسماحته فحسب، ولكن لأنه بعيد عن التعقيدات وطلاسم العقيدة النصرانية، ولأنه نظام كامل للحياة. كما أن رجال الدين النصارى خافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصراني فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام حيث إنه ليس في الإسلام طبقة رجال دين أو أكليروس كما في النصرانية[١٢].

فغاية الهدف الديني هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية،وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام.

٢-**الهدف العلمي:**ما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية.فقد رأى زعماء أوروبا "أنه إذا كانت

(١١)ا.جآربري: المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦م صـ٨.

(١٢) آصف حسين، "المسار الفكري للاستشراق"ترجمة مازن مطبقاني، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود عدد٧، ١٤١٣ه، صـ٥٦٦-٥٩٢.

أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته"[١٣]،وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق فالغربيين لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها، وقد أشار رودي بارت Rudi Paret –في كتابه عن الدراسات العربية الإسلامية–إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب، فإن المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي[١٤].

٣–**الهدف الاقتصادي التجاري:** عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعهم كان لا بد لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم. فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية هي هذه البلاد فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها.

ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف ما زال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية(لويد وبنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي[١٥].

(١٣) د.مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، صـ٧٦-١٠١ باختصار.
(١٤) رودي بارت، مرجع سابق، صـ ١٥.
(١٥) د.مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، صـ٧٦-١٠١ باختصار.

٤-الهدف السياسي الاستعماري:لقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية فقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار وهم كما أطلق عليهم الأستاذ محمود شاكر -رحمه الله- "حملة هموم الشمال المسيحي- فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها، وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المستعمر والمستشرق فقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً، ومن الأدلة على هذا الارتباط أن تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقيةبجامعة لندن قد أُسّسَت بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني.(١٦)وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة البريطانية أن نفوذها في العالم الإسلامي بدأ ينحسر فكان لا بد من الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية فكلفت الحكومة البريطانية لجنة حكومية برئاسة الإيرل سكاربورو Scarbrough لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية. ووضعت اللجنة تقريرها حول هذه الدراسات وقدمت فيه مقترحاتها لتطوير هذه الدراسات واستمرارها(١٧).

كما أن الحكومة الأمريكية موّلت عدداً من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياستها.(١٨)

كما يستضيف الكونجرس وبخاصة لجنة الشؤون الخارجيةأساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية لتقديم نتائج بحوثهم وإلقاء محاضرات على

(١٦)أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر."(القاهرة:بدون ناشر، بدون تاريخ) صـ٧٩.

(١٧) Report of The Interdepartmental Commission of Inquiry of Oriental , Slavonic , European and African Studies (London, 1947

(١٨) Moroe Berger. "Middle Eastern And North African Studies: Development and Needs."In Middle East Studies Association Bulletin, Vol.1. No.2, November 15,1967.، وانظر الدراسات العربية الإسلامية في جامعات أمريكيا الشمالية، إعداد اللجنة المنبثقة عن مؤتمر الشباب المسلم المنعقد في طرابلس عام ١٩٧٣وتم تحديثها عام ١٩٧٥ ونشرت في مدينة سيدر رابدزCedar Rapids بولاية أيوا الأمريكية، وقام بترجمتها مازن مطبقاني، وراجع الترجمة الدكتور علي النملة (تحت الطبع)

أعضاء اللجنة، كما ينشر الكونجرسهذه المحاضرات والاستجوابات نشراً محدوداً لفائدة رجال السياسة الأمريكيين.[١٩]

٥- **الهدف الثقافي:**من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى، ومن أبرز المجالات الثقافية نشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط، فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ. وقد فكّر نابليون في ذلك حينما طلب من خليفته على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا ،"يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولمّا يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم."(٢٠)ولم يتم لنابليون ذلك ولكن لمّا جاء محمد علي أرسل بعثة من أبناء مصر النابهين يقودهم رفاعة رفعت الطهطاوي، وقد قال محمود شاكر إن هؤلاء "يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدهافإذا عادوا إلى مصر كانوا حزباً لفرنسا وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر.."(٢١)

وظهر الهدف الثقافي من خلال الدعوة إلى العامية وإلى محاربة الفصحى والحداثة في الأدب والفكر حيث نادى البعض بتحطيم السائد والموروث وتفجير اللغة وغير ذلك من الدعوات. وقد بلغ من ثقتهم بأنفسهم في هذا المجال أن كتب أحدهم يتوقع أن لا يمر وقت طويل حتى تستبدل مصر باللغة العربية اللغة الفرنسية كما فعلت دول شمال أفريقيا.[٢٢]

) من الأمثلة على ذلك محاضر جلسات الكونجرس في صيف عام ١٩٨٥ الذي بلغت صفحاتها 19(اثنتين وأربعين وأربعمائة صفحة. وقد قام الدكتور أحمد خضر إبراهيم بترجمة أجزاء منها ونشرها في مجلة المجتمع الكويتية قبيل احتلال العراق الكويت.

) محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م صـــ١٠٨.20(

(٢١) المرجع السابق، صـ ١٤١.

)22(aleh J. Altoma. "The reception of Najib Mahfouz in American Publication."In*Comperatine and General Literature.(*Bloomington:

والخلاصة: أن الاستشراق الذي هو طلب علوم الشرق ولغاته وثقافته وآدابه ودراستها والاستفادة منها، بأهدافه ووسائله وآثاره، ظاهرة صحية يجب توظيفها توظيفا صحيحا؛ بحيث لا تدير الأمة الإسلامية ظهرها لهذه الدراسات، وتعاديها وتدفن رأسها في الرمال، بل عليها أن تدرك أن هذه سنة الله في خلقه (ولا يزالون مختلفين) و(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض)، وليس كل الاستشراق شر واتهام وافتراءات، بل هناك كتابات منصفة لم يمنع أصحابها اختلاف أديانهم ولغاتهم وثقافتهم وجنسياتهم من شهادة الحق وإنصاف الإسلام ونبيه الكريم ﷺ بأسلوب راق رائع أثر في قلوب أصحابه، فهدى بعضهم للإسلام قبل أن يؤثر في قلوب متابعيهم ومن على دينهم، بل واثّر أيضا على المسلمين فازدادوا ثقة بدينهم وحبّا لنبيهم واعتزازا بحضارتهم التي ملأت الدنيا نورا وعدلا وخيرا، وحمل هؤلاء المنصفون لواء الدفاع عن الإسلام حينما عجز المسلمون عن الدفاع عنه.

المبحث الثاني: شهادات المستشرقين المنصفين للرسول ﷺ.

إذا كان الرسول ﷺ فيعقيدة وفكر المسلمين سيد البشر وإمام الرسل وخاتمهم، فإن آراء المستشرقين والمفكرين الغربيين تتفاوت في تقويمه والكتابة عنه، وطبيعي أن تتباين وجهات نظرهم فيه عليه أفضل الصلاة والسلام، تبايناً قد يبلغ حد التناقض.

وطبيعي أن ترد أسباب الاختلاف في المواقف الاستشراقية إلى حالات الاستشراق ومناهجه الفكرية المتأرجحة بين الجحود والإنصاف، والكره والمحبة، والسخرية والاحترام، وذلك لما أدركه المستشرقون من العلاقة العضوية التي لا تنفصم بين الرسالة والرسولﷺ، وارتكاز الإسلام كعقيدة وشريعة على القرآن الكريم (كتاب الله) والسنة – أحاديث الرسول ﷺوأقواله وأفعاله وتقريره...

فبعد أن فرض الإسلام نفسه عالمياً، كان طبيعياً أن تستأثر سيرة النبى ﷺ وشخصيته ومناقبه باهتمام المستشرقين والمفكرين الغربيين... يقول المفكر الفرنسي المعاصر مارسيل بوازار في كتابه "**إنسانية الإسلام**"، متحدثاً عن طبيعة المواقف واتجاهات المستشرقين في الغرب، بقوله:"لقد سبق أن كُتب كل شيء عن نبي الإسلام، فأنوار التاريخ تسطع على

Indiana University Press. 1993) p160-179 quoting George Young.*Egypt*. London: E. Benn, 1927. P284-85.

حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها، والصورة التي خلفها محمد عن نفسه تبدوا، وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني، وتتيح إدراك عظمته الحقيقية، ولا رب أن تقدم نبي الإسلام تبعاً للرغبة النابعة من الود والاحترام، ومحمد الذي يوليه المسلمون ولا ريب نوعاً من الإجلال الورع، يبدو الاطلاع على حياته ضرورياً، نظراً للعلاقة الوثقى بين الرسالة والرسول، فمع أن القرآن يلح على طبيعة النبي البشرية البحتة، إلا أنه يجعل منه "أسوة حسنة، يقتدي بها المؤمنون"(٢٣).

وبعد هذه المقدمة عن اهتمام المستشرقين بدراسة شخصية النبي محمد ﷺ والعلاقة الوثيقة بينه وبين رسالته الخاتمة، أذكر نماذج ممن شهدوا للنبي ﷺ وهم على غير الإسلام وقبل نشأة الاستشراق ومدارسه:

أولا: شهادات المنصفين من غير المسلمين لرسول اللهﷺ في حياته:

١ – شهادة بحيرا الراهب لرسول اللهﷺ: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب للتجارة في الشام، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له: بحيرا في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها، فيما يزعمون يتوارثونه كابرًا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبًا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت(٢٤) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنّي قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم؛ صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا، إن لك لشأنًا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنّا نمر بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن

(٢٣) مارسيل بوزار: إنسانية الإسلام، صـ٤٠-٤١.

(٢٤) تهصرت أغصان الشجرة: أي تهدلت عليه. ابن منظور: لسان العرب، مادة هصر ٢٦٤/٥.

أكرمكم، وأصنع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنة في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا، ما تخلف عنك أحد، ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنّا، فتخلف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام

معكم، قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا. ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنّما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: "لا تسلني باللات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما"، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه. فقال له" :سلني عما بدا لك ."فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: هل هذا الغلام منك؟ قال: ابني .قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حًّيا .قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به. قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله! لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده[٢٥][٢٦].

(٢٥) ابن كثير(٧٠١ –٧٤٧ه)الفصول في سيرة الرسول ﷺ ١١٦/١، والبيهقي: دلائل النبوة ٣٦٢، وابن هشام: السيرة النبوية٣٢٠/١-٣٢٢

(٢٦) تفاصيل هذه القصة في دفاع عن السنة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: حادثة الراهب المسمى بحيرا حقيقة لا خرافة، موقع الألباني.

٢- شهادة ورقة بن نوفل لرسول اللهﷺ:عندما جاء الوحي لرسول الله ﷺ انطلقت به خديجة-رضي الله عنها -حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرؤ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللهﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا[٢٧]، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول اللهﷺ: أو مخرجيّ هم؟"قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[٢٨].

٣- شهادة هرقل لرسول اللهﷺ:روى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أن أبا سفيان بن حربقد أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام في المدة[٢٩]التي كان رسول الله ﷺ ماد [٣٠]فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: "أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا. فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره[٣١]، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله! لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا لكذبت عنه[٣٢]، ثم كان

(٢٧) الجذع: الصغير من البهائم، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابا ليكون أمكن لنصره. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٢٦/١، والنووي: المنهاج ٢٠٣/٢.

(٢٨) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي حديث:٣، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ حديث:١٦٠.

(٢٩) المدة: يعني مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة ست من الهجرة، وكانت مدتها عشر سنين. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٤/١، والنووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٠٣/١٢.

(٣٠) مادّ فيها أبا سفيان: أي جعل بينه وبينه مدة صلح. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٨٦/١.

(٣١) فاجعلوهم عند ظهره: أي: لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب. انظر :ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٥/١، والنووي: المنهاج ١٠٤/١٢.

(٣٢) يأثروا علي كذبا أي: ينقلوا علي الكذب لكذبت عليه... وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب؛ إما بالأخذ عن الشرع السابق، أو بالعرف. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٥/١، والنووي: المنهاج ١٠٤/١٢

أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب .قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة [٣٣].

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال[٣٤]؛ ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا؛ فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك :أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك :أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب [٣٥].

---

(٣٣) كلمة أدخل فيها شيئا: أي: أنتقصه به، على أن التنقيص هنا أمر نسبي، وذلك أن من يقطع بعدم غدره أرفع رتبة ممن يجوز وقوع ذلك منه في الجملة. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٥/١.

(٣٤) سجال: أي: نوب، نوبة لنا ونوبة له .وينال أي: يصيب. فكأنه شبه المحاربين بالمستقين: يستقي هذا دلوا وهذا دلوا .وأشار أبو سفيان بذلك إلى ما وقع بينهم في غزوة بدر وغزوة أحد. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٦/١، والنووي: المنهاج ١٠٥/١٢.

(٣٥) تخالط بشاشته القلوب: يعني انشراح الصدور، وأصلها اللطف بالإنسان عند قدومه .انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٧/١، والنووي: المنهاج ١٠٦/١٢.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص[٣٦]إليه لتجشمت[٣٧]لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه [٣٨][٣٩].

(٣٦) أخلص أي: أصل، يقال: خلص إلى كذا أي وصل. انظر: ابن حجر: فتح الباري ٣٧/١.
(٣٧) لتجشمت أي: تكلفت الوصول إليه. انظر: ابن حجر: فتح الباري ٣٧/١، والنووي: المنهاج ١٠٧/١٢.
(٣٨) لغسلت عن قدميه: مبالغة في العبودية له والخدمة. وفي اقتصاره على ذكر غسل القدمين إشارة منه إلى أنه لا يطلب منه -إذا وصل إليه سالما- لا ولاية ولا منصبا، وإنما يطلب ما تحصل له به البركة. انظر: ابن حجر: فتح الباري ٣٧/١.
(٣٩) البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٧٧٣.

٤- شهادة حيي بن أخطب لرسول اللهﷺ:تروي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب- رضي الله عنها- زعيم يهود بني قريظة فتقول: "كنت أحبّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطبمغلسين(٤٠)، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو(٤١)؟ قال: نعم والله !قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت"(٤٢).

٥- شهادة عبد الله بن سلام لرسول اللهﷺ:بلغ عبد الله بن سلاممقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فقال :إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ، قال: ما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول اللهﷺ:"خبرني بهن آنفًا جبريل" .قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول اللهﷺ:"أما أوّل أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها".

قال: أشهد أنّك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله، إنّ اليهود قوم بُهْت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول اللهﷺ:"أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟"قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخيرنا. فقال رسول الله ﷺ:أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه(٤٣).

---

(٤٠) الغلس: ظلام آخر الليل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة غلس ١٥٦/٦.
(٤١) يقصد بذلك رسول الله ﷺ
(٤٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٥١٧/١.
(٤٣) البخاري: كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} ٣٧٢٣، وأحمد ١٢٠٧٦.

٦- **شهادة أبي جهل في رسول الله ﷺ:** سأل المسور بن مخرمة ﷺ خاله أبا جهل عن حقيقة محمد ﷺ؛ إذ قال: "يا خالي، هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال : يابن أختي، والله! لقد كان محمد ﷺ فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبا قط، قال: يا خال، فما لكم لا تتبعونه؟ قال :يابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا(٤٤)على الركب كنا كفرسي رهان(٤٥)، قالوا: منا نبي. فمتى ندرك مثل هذه؟! وقال: الأخنس بن شريق يوم بدرلأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد؛ أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟(٤٦).

٧- **شهادة الزعيم الهندي المهاتما غاندي:** يقول المهاتما غندي في إحدى مقابلاته مع جريجة هندية: "لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته، مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته... هذه الصفات هي التي مهَّدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف، بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسِفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة"(٤٧).

٨- **شهادة رئيس الوزراء الهندي الأسبق جواهر لال نهرو:** وهذه شهادة رئيس وزراء الهند قول فيها: "كان محمد كمؤسسي الأديان الأخرى ناقمًا على كثير من العادات والتقاليد التي

---

(٤٤) تجاثينا: أي جلسنا على الركب للخصومة. وفي الروض الأنف: تجاذينا على الركب: وقع في الجمهرة الجاذي: المقعي على قدميه،والسهيلي: الروض الأنف ١١٠/٣، وانظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة جثا ١٣١/١٤، ومادة جذا ١٣٦/١٤.

(٤٥) كفرسي رهان: يضرب للمتساويين في الفضل، وقيل: للمتناصبين. انظر: الضبي: الأمثال ١١/١.

(٤٦) ابن القيم: هداية الحيارى ص٥٠، ٥١.

(٤٧) من حوار لغاندي لجريدةYoung Indiaالهندية،موقع إسلام أون لاين، د.أحمد حسين النمكي، الإسلام في وجه الخطر الأوربي صـ٩٩

كانت سائدة في عصره، وكان للدين الذي بشر به بما فيه من سهولة وصراحة وإخاء ومساواة، تجاوب لدى الناس في البلدان المجاورة؛ لأنهم ذاقوا الظلم على يد الملوك الأوتوقراطيين والقساوسة المستبدين. لقد تعب الناس من النظام القديم، وتاقوا إلى نظام جديد فكان الإسلام فرصتهم الذهبية؛ لأنه أصلح الكثير من أحوالهم ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم"(٤٨).

ثانيا: شهادات المنصفين من المستشرقين لرسول اللهﷺ:

وبعد هذه الشهادات من غير المسلمين كبحيرا الراهب النصراني وورقة بن نوفل الذي تنصر في الجاهلية وهرقل ملك الروم وعبد الله بن سلام الحبر اليهودي الذي أسلم، وأبي جهل أشد أعداء النبيﷺ في حياته، أنقل بعض شهادات المستشرقين المنصفين عن النبي ﷺ:

١- شهادة الشاعر الفرنسي لامارتين(١٧٩٠-١٨٦٩م):يقول شاعر فرنساالشهير (لامارتين):

-"من ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًّا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسَنُّوا القوانين وأقاموا الامبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجادًا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيِّهم.. لكنَّ هذا الرجل محمدًا لم يَقُدِ الجيوش، ويَسِنّ التشريعات، ويُقم الامبراطوريات، ويحكم الشعوب، ويُرَوِّض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يُعَدُّ ثلث العالم حينئذٍ، ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.. إنه بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أودُّ أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد؟(٤٩).

-وكتب في موضع آخر"أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمددراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، ومن ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد ؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه، عند النظر إلى جميع المقاييس

(٤٨) جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم ليندون هاريسL. Haris ، صـــ٢٧.
(٤٩) لامارتين: تاريخ الأتراك ٢٧٦/٢، ٢٧٧.

التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي هذه كلها تدل على إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة. إن الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد، لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق(٥٠)

–وقاللامارتين أيضا: "الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن والروح معاً، دون أن يُعرِّض المسلم لأن يعيش في تأنيب الضمير ... وهو الدين الوحيد الذي عباداته بلا صور، وهو أعلى ما وهبه الخالق لبني البشر"(٥١).

٢– **شهادة المستشرق البلجيكي ألفرد الفانز**:كتب ألفردألفانز عن أخلاق النبي ﷺ وصدقه وأمانته:"شب محمد حتى بلغ، فكان أعظم الناس مروءة وحلمًا وأمانة، وأحسنهم جوابًا، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين، وبلغت أمانته وأخلاقه المرضية خديجة بنت خويلد القرشية، وكانت ذات مال، فعرضت عليه خروجه إلى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسر، فحرج وربح كثيرًا، وعاد إلى مكة وأخبرها ميسرة بكراماته، فعرضت نفسها عليه وهي أيم، ولها أربعون سنة، فأصدقها عشرين بكرة، وتزوجها وله خمسة وعشرون سنة، ثم بقيت معه حتى ماتت"(٥٢).

٣– **شهادة الأديب الروسي العالمي تولستوي(١٨٢٨–١٩١٠م)**:والذي حرمته الكنيسة بسبب آرائه الحرة الجريئة:"أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء ... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وفتح لها طريق الرقي والمدينة، يكفي محمدًا فخرًا أنه خلّص أمة ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ستسود العالم؛ لانسجامها مع العقل والحكمة،

(٥٠) السفر إلى الشرق) صـــ٢٧٧.
(٥١) السفر إلى الشرق، لامارتين صـــ٤٧، ربحت محمدا ولم أخسر المسيح صـــ٢٣.
(٥٢) الفرد فانز: علم النفس. من كتاب: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة صـــ٣٢.

أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضًا آخر الأنبياء(٥٣).

٤- شهادة المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون(١٧٣٧-١٧٩٤م):يقول إدوارد جيبون(٥٤): "إن أي فيلسوف يؤمن بوجود إله لا يمكنه إلاّ أن يُقِرَّ بعقيدة محمدالمألوفة، فهي عقيدة ربما كانت أسمى من عقولنا في الوقت الحاضر"(٥٥).

٥- شهادة العالم الأمريكي المعاصر مايكل هارت(١٩٣٢-٠٠٠):وفي عداد أولك الذين أنصفوا الرسول ﷺ وأعطوه بعض حقه، وتمثلوا روح الإسلام، وأدركوا موضوعياً أهمية الرسول التاريخية، بعيداً عن المواقف المتزمتة أو المتعصبة معه أو ضده، يقف في الطليعة الدكتور مايكل هارت صاحب كتاب:"المئة الأوائل (الخالدون مئة أعظمهم محمد)"(الخالدون مئة أعظمهم محمدرسول الله)، الذي يشدنا إلى أن نقف معه عند نظرته العلمية، التي وضعها لتصنيف عظماء التاريخ، ضمن سلم ترتيبي، اختاره حسب مقاييس منطقية يمليها أولاً وأخيراً، أثر هذه الشخصية في التاريخ في مرحلتها، وفي تكوين اتجاهات المراحل التالية وديمومة هذا الأثر، وكان منطلقه الذي وضعه لنفسه يرتكز على النقاط التالية:

١- الأهمية الأولى للأشخاص الذين أثروا في التاريخ تأثيراً دائما سواء في ذلك الشخصية المشهورة أو المغمورة أو الشريرة، المتواضعة أو المغرورة.

٢- الاعتماد في تصنيفه السابق على الشخصيات التي أثرت على الصعيد العالمي وعدم الأخذ بالشخصيات التي أثرت على الصعيد المحلي.

٣- وفي تقرير مكانة الشخص، أخذ الباحث بعين الاعتبار أهمية الحركة التاريخية التي أسهم بها، رغم إدراكه أن ضرورة حركة التطور التاريخية ليست ناجمة عن عمل أفراد"(٥٦).

وتبعاً لهذه المعايير العلمية التي وضعها هذا الباحث لأولئك المئة الذين اعتبر كلا منهم من الشخصيات الرائدة حقاً في التاريخ، كان الرسول ﷺ على رأس المئة، وهكذا ليس بدعاً

(٥٣) الحسيني الحسيني معدى: الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة.
(٥٤)مؤرخ إنجليزي كبير، يُعتبر أكبر مؤرخ إنجليزي في القرن الثامن عشر، اشتهر بكتابه الضخم (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها).
(٥٥) إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ٢٩/٣.
(٥٦) مايكل هارت: المئة الأوائل (الخالدون مئة أعظمهم محمد)، صـ٩-١٠

بالنسبة لنا نحن العرب المسلمين، أن نرى في صنيعه بادرة إنصاف عظيمة ونظرة علمية متجردة، من مفكر غربي، اضطر معها إلى تقديم التبرير والدفاع عن اختياره لأنه يقدم كتابه لأبناء جلدته من الغربيين.. فهو يقول في دراسته شخصية الرسول وأثره في التاريخ:"إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيراً من القراء إلى حد قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقادي أن محمداًكان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.

لقد أسس محمد ونشر أحد أعظيم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، لا يزال تأثيره قوياً عارماً"(٥٧).

وحين أجرى المؤلف مقارنة بين محمد والمسيح وجدهما متساويين في العظمة، غير أنه قدم محمداً لكونه هو الذي قام بإرساء قواعد الدين الإسلامي ونشره بنفسه بينما نجد أن المسيح عليه السلام قدم رسالة روحية وأفكارا أخلاقية سامية، إلا إن علم اللاهوت المسيحي مدين للقديس بولس، وأضاف إليها قسماً كبيراً مما يؤلف العهد الجديد في الكتاب المقدس.

ويتحدث هارت في مقدمة كتابه عن مبررات تصنيف الرسول ﷺ في مرتبة أعلى من يسوع المسيح، بقوله:"ولأن في اعتقادي أن محمداً له تأثير شخصي على صياغة الدين الإسلامي أكثر مما كان ليسوع من تأثير على الدين المسيحي"(٥٨).

ويقول مايكل هارت:"إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيراً من القراء إلى حد قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقادي أن محمداً الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح في مهمته بشكل أسمى وأبرز إلى أقصى حد، سواء على المستوى الديني أم على المستوي الزمني"(٥٩).

٦-شهادة الأديب الألماني جوته(١٧٤٩-١٨٣٢م): "بحثت في التاريخ عن مثلٍ أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد"(٦٠)، **ويخاطب الشاعر جوته** أستاذه الروحي الشاعر

(٥٧) المصدر السابق، صـ٢٩.
(٥٨)مايكل هارت: المئة الأوائل (الخالدون مئة أعظمهم محمد)، صـ١٧.
(٥٩)المئة الأوائل (الخالدون مئة أعظمهم محمد) مايكل هارت صـ ٣٣.
(٦٠) جوته: الديوان الشرقي للشاعر الغربيصـ٩٨.

حافظ شيرازي، فيقول: "يا حافظ، إن أغانيك لتبعث السكون إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة، بهم جميعًا أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد اللهإن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية وإننا- أهل أوربا -بجميع مفاهيمنا لم نصل بعدُ إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد"(٦١).

٧-**شهادة الأديب الإنجليزي جورج برنارد شو(١٨٥٦-١٩٥٠م):**"كان محمد هو روح الرحمة، وقد ظل تأثيره باقيًا خالدًا على مر الزمان، لم ينسه أحد من الناس الذين عاشوا حوله، ولم ينسه الناس الذين عاشوا بعده"، وقال أيضا: "قرأت حياة رسول الإسلام جيدًا مرات ومرات، فلم أجد فيها إلا الخلق كما ينبغي أن يكون، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم"(٦٢).

ويقول: "لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوربة بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة ! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي"(٦٣)، **وهذه شهادته أيضا:** "إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا إن محمداً رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً واضحاً قوياً، استطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم"(٦٤)، ويقول أيضا: "لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحداً، سوى محمد، كان صاحب رسالة وباني أمة، ومؤسس دولة ... هذه الثلاثة التي قام بها محمد، كانت وحدة متلاحمة، وكان الدين هو القوة التي توحدها على مدى التاريخ"(٦٥).

٨-**شهادة المستشرق الإنجليزي وليم موير(١٨١٩-١٩٠٥م):**يقول وليم موير المستشرق الإنجليزي:"ومن صفات محمد الجديرة بالذِّكر، والحَرِيَّة بالتنويه: الرقة والاحترام اللتان كان

(٦١) الحسيني الحسيني معدى: الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة ص٦٩.
(٦٢) جورج برنارد شو: عظمة الإسلام، المجلد الأول صـــ٦٥.
(٦٣) موسوعة مقدمات المناهج والعلوم، أنور الجندي مجلد ٢١١/٨.
(٦٤) المؤرخ ول ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة) المجلد الحادي عشر صـــ٢١.
(٦٥) المؤرخ فيليب حتّي، مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي ٢١٤/٨.

يعامل بهما أصحابه؛ فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه، ورسَّخت محبته عند كل من حوله، وقد عامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طويلة، وامتنعوا من الدخول في طاعته، كما ظهر حِلمُه وصفحه حتى في حالتي الظفر والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة وعداء له،ويقودنا مبعث رحمة الرسول بالأعداء، ونفي سمة الارهاب عن الخلق المحمدي، إلى تناول جانب عملي في أخلاق الرسول، وهو عفوه عن أعدائه عند المقدرة"(٦٦).

٩-شهادةالمستشرق البريطاني لين بول (١٨٥٤-١٩٣١م) في مؤلفه:"رسالة في تاريخ العرب":

"إن ما اتصف به (محمد) من الصبر واحتمال المكاره، والعفو عند المقدرة، لبرهان لنا واضح على أنه كان صادقا إذ يقول:﴿ لا اكراه في الدين ﴾ (٢٥٦/٢) فمحمد ذو يقين راسخ وقوة عزم هائله"(٦٧).

١٠-شهادة المستشرق مارسيل بوازار(مفكر وقانوني فرنسي)في كتابه:"إنسانية الإسلام"موضحاً نضال الرسول ومنافحته عن المجتمع الإسلامي الجنيني، ورحمته وعفوه عند المقدرة:"وبالرغم من قتاليتهومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن ليلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة، قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه، وجسدت المناخ الروحي للإسلام الاتباعي، ولا تنفك الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية تصور في الأذهان كرم الرسول وتواضعه، كما تصور استقامته ونقاءه ولطفه وحلمه. وكما يظهره التاريخ قائداً عظيماً ملء، قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحاً قوي الشكيمة (ديمقراطياً)"(٦٨).

١١-شهادة الفيلسوف الفرنسي فولتير(١٦٩٤-١٧٧٨م): "لقد قام الرسول بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض ... إن أقل ما يقال عن محمد أنه قد جاء بكتاب

(٦٦)وليم موير: حياة محمد صـــ٨٧، جمال بن محمد بن محمود، البيان في فضل الإسلام ونبيه العدنان صـــ١١٧.
(٦٧) لين بول: رسالة في تاريخ العرب صـــ٥٤.
(٦٨) مارسيل بوزار: إنسانية الإسلام، صـــ٤٦.

وجاهد، والإسلام لم يتغير قط، أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم دينكم عشرين مرة"[٦٩].

١٢-شهادة المؤرخ البريطانيأرنولد توينبي(١٨٨٩-١٩٧٥م):ومما ميز حياة الرسول الخاتم أن حياته وسيرته وشمائله كلها قد حفظها لنا التاريخ، فليس ثمة غموض في أي ناحية من حياته وسيرته،وقد اعترف بهذه الحقيقة كبار المؤرخين الغربيين، يقول أرنولد توينبي:"الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية العطرة يجدون أمامهم من الأسفار مما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام"[٧٠].

١٣-شهادة الكونت كاتياني في كتابه (تاريخ الإسلام):"أليس الرسول جديراً بأن تقدَّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام؟! وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها، فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل"[٧١].

١٤-شهادة الباحث الفرنسي كليمان هوارت(١٨٥٤-١٩٢٦م): "لم يكن محمداً نبياً عادياً، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عادياً من يقسم أنه"لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها"! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً"[٧٢].

١٥-شهادة المستشرق المعروف غوستاف لوبون(١٨٤١-١٩٣١م): "تعرف ما فيه الكفاية عن حياة محمد، أما حياة المسيح فمجهولة تقريباً، وإنك لن تطمع أن تبحث عن حياته في الأناجيل"[٧٣].

١٦-شهادة عالم اللاهوت السويسري المعاصر د. هانز كونج(١٩٢٨-.....): والذي يعتقد أن المسيح إنسان ورسولفحسب اختاره الله، فيقول: "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمداً هو المرشد القائد على طريق النجاة"[٧٤].

(٦٩) نقلاً عن غوته والعالم العربي، كاتارينامومزن ١٨١-٣٥٥.
(٧٠) مدخل تاريخي للدين، توينبي صـــ٣١.
(٧١) محمد نمر المدني، عقدة الأندلس وأسلمة أوربا، صـــ١٥٤.
(٧٢) محمد في الآداب العالمية المنصفة، صـــ١٤٢.
(٧٣) حياة الحقائق، غوستاف لوبون صـــ٦٢.
(٧٤) الإسلام نهر يبحث عن مجرى، الدكتور شوقي أبو خليل صـــ ١٥.

١٧-**شهادة المستشرق ر. ف. بودلي(١٨٩٢-١٩٧٠م)**:يقول: "لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير، ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض"(٧٥).

١٨-**شهادةالمستشرق هيل (١٩٢٢-١٩٩٤م) في كتابه (حضارة العرب)**:"لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى"(٧٦).

١٩-**شهادة المستشرق الإسباني جان ليك(١٩٤٥-....) في كتابه(العرب)**:"لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق"(٧٧).

٢٠-**شهادةالمؤرخ كريستوفر دارسون (١٩٤٠-...) في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم)**:"إن الأوضاع العالمية تغيرت تغيراً مفاجئاً بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد".

٢١-**شهادة المسشترقشيريل(١٩٢٧-...)، عميد كلية الحقوق بفيينا**:"إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها"(٧٨).

٢٢-**شهادة الشاعر الروسي الشهيربوشكين(١٧٩٩-١٨٣٧م)**"شُقّ الصدر، ونُزع منه القلب الخافق... غسلته الملائكة، ثم أُثبت مكانه ! قم أيها النبي وطف العالم . وأشعل النور في قلوب الناس"(٧٩).

٢٣-**يقول الباحث الأمريكي وول ديوارنت**:مؤلف كتاب: "قصة الحضارة": "كان محمد ﷺ نبياًكبيرا، وتوحيدياكاملا ولم يكن له نظير جاء لإصلاح البشر"(٨٠).

(٧٥) حياة محمد، المستشرق بودلي صـــ ٦.
(٧٦) محمد نمر المدني، عقدة الأندلس وأسلمة أوربا، صـــ١٥٦
(٧٧) المستشرق الإسباني جان ليك (العرب) صـــ٤٣.
(٧٨) هذا ديننا، محمد الغزالي صـــ١٢٣.
(٧٩) قصائد شرقية، ألكسندر بوشكين صـــ٤٥.
(٨٠) وول ديورانت: نقلا عن الإسلام مبدأ وعقيدة صـــ٤٨.

التحليل الاستنتاج: من العجب أن نقرأ هذه النصوص وغيرها والتي تشهد لنبي الإسلام محمد ﷺ بالصدق والأمانة وحسن الخلق وبراعة القيادة وحسن التعامل مع المخالفين له، وأنه لا نظير له لا من الأنبياء إخوته ولا من عامة البشر، والمناداة بقرءاة سيرته والتأمل في شمائله وكف الأيدي والألسن عن الإساءة إليه؛ لكن الأشد عجبا أن تصدر هذه الكتابات وتسجّل هذه الشهادات من غير المسلمين على اختلاف أديانهم ولغاتهم وثقافتهم وأجناسهم، ولم يمنعهم اختلاف الدين أن يصدعوا بالحق وسط مجتمعات لطالما شوّهت صورة الإسلام وحاربته في دياره وحاولت منع نوره أن ينتشر؛ لكن أبى الله إلا أن يتم نوره، ويرفع قدر نبيه ﷺ ليس فقط بين أتباعه؛ بل وبين من سخر منه وطعن فيه واتهمه بالإرهاب ونشر الإسلام بالسيف.

المبحث الثالث: شهادات المنصفين من المستشرقين ومن غير المسلمين للقرآن الكريم.

لقد انبهر مشركي مكة ببلاغة القرآن وفصاحته حتى شهدوا بذلك، فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺفقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال: لم ؟
قال:ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له قال: وماذا أقول فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم فاتحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}(المدثر:١١)[٨١]، وعَنْ عِكْرِمَةَ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺبِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ"[٨٢]

(٨١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين،٥٥٠/٢ حديث"٣٨٧٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، والبيهقي، شعب الإيمان٢٨٧/١، وصحيح السيرة النبوية محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية -عمان– الأردن ١٩٩١م.
(٨٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب قوله فاسجدوا لله واعبدوا، حديث: ٤٨٦٢

لقد تناول المستشرقون القرآن الكريم بالدراسة والبحث والتحليل، واعتنوا بترجمته إلى لغاتهم، ترجمات اختُلف في تقويمها.. قدحاً ومدحاً، اتهاما وإنصافاً، وتمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وحسنها وقبيحها، ورصداً للأخطاء التي ارتكبت عمداً، أو بغير عمد، "ما أشبه الليلة بالبارحة"فوسط مواقف وأحداث ونظريات تتشح بوشاح استعلائي عنصري اقصائي تصادمي، تبقي الحاجة ماسة لتسليط الأضواء أمثال تلكم الشهادات المُنصفة من عقلائهم التي من شأنها أن تثري "المعرفة المُنصفة"، و"المثاقفة المتبادلة"، وتُعدل من"الصور الذهنية النمطية"، وتجسر جسور التعارف والتعايش والتعاون، و"يلتقي الغرب والشرق"، فيعلو الحوار الفعّال، علي الخنجر القتّال، وتبقي الضرورة مُلحة لتوفير ترجمات صحيحة سليمة لمعاني القرآن الكريم بكل لغات العالم المقروءة.

وليس بمستغرب تلك الحملات والانتهاكات والدعوات المسعورة القديمة الجديدة المتجددة؛ للنيل من القرآن الكريمحرقاً، أو تدنيساً، أو تكذيباً، أو تشويها، أو تحريفاً، أو تسفيهاً، أو تشكيكاً الخ، فلقد كان منذ نزوله ومازال وسيظل كتاباً مُقلقاً للغربيين ومُحيراً لهم، ومُبلبلاً لأفكارهم، وتاريخ تعاملهم معه حافل بالمتناقضات، ما يستلزم تدخلا فاعلاً لحلها. يقول المستشرق الفرنسي "ريجيسبلاشير": "قلما وجدنا من بين الكتب الدينية الشرقية كتاباً بلّبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن"(٨٣).

لكن هناك بعض المستشرقين المنصفين كتبوا شهاداتهم عن القرآن الكريم بعد تأمل وتفكر في أسلوبه المعجز وفصاحة كلماته وسحر بيانه:

١-**يقول المستشرق "شيبس"**:"يعتقد بعض العلماء أنَّ القرآن كلام محَمَّد، وهذا هو الخطأ المحضُ، فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محَمَّد، وليس في استطاعة محَمَّد، ذلك الرجل الأمِّي في تلك العصور الغابرة أنْ يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناسَ من الظلمات إلى النور، وربَّما تعجبون من اعتراف رجلٍ أوروبِّي بهذه

(٨٣) "ريجيسبلاشير": "القرآن: نزوله، ترجمته وتأثيره"، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤، ص:٤١.

الحقيقة، لكن لا تعجبوا فإنِّي درستُ القرآن فوجدتُ فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكم، وتلك البلاغة التي لم أرَ مثلها قطُّ، فجملة واحدةٌ تغني عن مؤلَّفات"(٨٤).

٢-**الأب** "**روبير كاسبار**"**يقول:** "إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً، بل لم يحاول ذلك مطلقاً؛ حتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام أمثال "يوحنا الدمشقي"، و"تيودر أبي قرة"، أو "بولس الصيدوني"الخ، لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحي اكتفى قروناً طويلة بتشويه صورة الإسلام ونبيه ﷺ من دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة، فأول ترجمة لمعاني القرآن لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر أي بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام، وتمت بناء على مبادرة من "بطرس المبجل"، كما إن غالب الترجمات لم تكن لها هدف سوى توجيه المزيد من الإدانات للقرآن، تلك الإدانات التي امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء"(٨٥).

٣- **في كتابها** "**دفاع عن الإسلام**"، **تقول** "**لورا فيشيا فاغليري**": "كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محَمَّد وهو العربي الأمِّي؟ وعلى الرغم أنَّ محَمَّدا دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مثل كتابه، أو على الأقلِّ بسورةٍ من مثل سُوَره: {**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**} (البقرة: ٢٣) وعلى الرغم من أنَّ أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب، فإنَّ أحدًا لم يتمكَّن من أنْ يأتي بأيِّ أثر يضاهي القرآن. لقد قاتلوا النبيَّ بالأسلحة، لكنَّهم عجزوا عن مضاهاة السموِّ القرآني"(٨٦).

٤-**المفكر الألماني (هويرتهيركومر):**"يبدوا أن الصليبيين جنوداً وضباطاً – رفضوا الاعتراف بحقيقة أنهم يواجهون إحدى ديانات التوحيد القريبة من دياناتهم، كانت معرفة الصليبيين

(٨٤) محَمَّد أمين حسن محَمَّد بني عامر: "المستشرقون والقرآن الكريم"، إربد: دار الأمل، ٢٠٠٤م. ـ ص ٢٢٣. ـ نقلاً عن محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. سيرة سيِّد المرسلين، القاهرة: دار نهضة مصر، ـ صـ ١٨ ـ ١٩.

(٨٥)أ.د. زينب عبد العزيز:"محاصرة وإبادة – موقف الغرب من الإسلام، صـ٤٠.

(٨٦) لورا فيشيا فاغليري: "دفاع عن الإسلام"، نقله إلى العربية منير البعلبكي، صـ٥٧ ـ ٥٨ط ٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١هـ.

بالقرآن محدودة جداً، صحيح أن أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن ظهرت سنة ١١٤٣م لكن الأوروبيين كانوا يتطلعون إلى توظيفها للطعن المستمر في الإسلام، ولا شك في أن الترجمة الدقيقة لمعاني القرآن بينت للغرب اللاتيني أموراً كثيرة، ومع ذلك لم يفكر أحد في حينئذ في التوصل إلى حد أدنى من الاتفاق والفهم والتفاهم مع الإسلام "(٨٧).

٥-اشتهر الطبيب الفرنسي "موريس بوكاي"بوقفاته الموضوعية العلمية مع الكتب السماوية، وخرج من دراستهبعدد من النتائج ضمَّنها كتابه المشهور:"القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم"، أو "دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة"، إذ يقول: "كيف يمكن لإنسان، كان في بداية أمره أُمّيًّا، ثمَّ أصبح فضلاً عن ذلك سيِّد الأدب العربي على الإطلاق، أنْ يصرِّح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أيِّ إنسان في ذلك العصر أنْ يكونها، وذلك دون أنْ يكشف تصريحه عن أقلِّ خطأ من هذه الوجهة؟"(٨٨).

٦-الصحفية الأمريكية "ديبرابوتر"التي اعتنقت الإسلام عام١٩٨٠م تقول: "كيف استطاع محَمَّد الرجل الأمِّي الذي نشأ في بيئة جاهلية أنْ يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتَّى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بُدَّ إذنْ أنْ يكون هذا الكلام هو كلام الله عزَّ وجلَّ"(٨٩).

٧- يؤكد مونتجمري واط (١٩٠٩-٢٠٠٦م) في كتابه المتأخِّر "الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر: "إنَّ القرآن ليس بأيِّ حال من الأحوال كلامَ محَمَّد، ولا هو نتاج تفكيره، إنَّما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محَمَّد ومعاصريه ومن بعدهم. ومن هنا فإنَّ محَمَّدا ليس أكثرَ من "رسول"اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكَّة أوَّلاً، ثمَّ لكلِّ العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين، وهناك إشارات في القرآن إلى أنَّه موجَّهٌ للجنس البشري قاطبةً،

(٨٧) ثابت عيد: "ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين"بحث (صـــ٢١) جريدة الحياة العدد ١١٩٩٠.

(٨٨) موريس بوكاي. دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة، ط ٤ القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م. ـ صـــ ١٥٠.

(٨٩) نقلاً عن: عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، صـــ ٥٥.

وقد تأكَّد ذلك عمليًّا بانتشار الإسلام في العالم كلِّه، وآمن به، وقبِله بشرٌ من كلِّ الأجناس تقريبًا"(٩٠).

٨- **ويمضي "واط"ذلك المستشرق الانجليزي** الذي أمضى في دراسة القرآن والإسلام أكثر من ثلث قرن، وهو قسيس إنجليكانى وابن قسيس! ... "بأن القرآن كان يسجل فور نزوله".. ويؤكد في أكثرَ من موضع من كتابه سالف الذكر على صدق الجمع والتدوين والتوثيق فور النزول والتنزيل للقرآن في عهد الوحي والتنزيل وبإشراف الرسول عليه الصلاة والسلام"(٩١).

ولقد جاءت شهادته هذه تعليقاً على الآية القرآنية التي تقطع بأن الجامع الأول للقرآن الكريم هو الله سبحانه وتعالى:**{إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه ثم أن علينا بيانه}** (القيامة ١٦-١٩)فقال: "إن التفسير الطبيعي لهذه الآيات، هو أن محمداً ما دام يتبع تلاوة جبريل فإن الله متكفل بجمع الآيات المتفرقة أو التي أوحى بها في أوقات مختلفة لجعلها في سياق واحد، وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل"(٩٢).

- هذا القرآن كتاب حكيم فمن أجال الطرفيه وأمعن النظر في بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمائة وعشرون سنة كأنه مقول في هذا العصر إذ هو مع سهولته بليغ ممتنع ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام، وكما أنه كان يرى مطابقًا للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوبًا كذلك يرى موافقًا لأسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقّت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه، وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين، وإذا نظرنا إلى ما

(٩٠) محَمَّد عمارة. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، صـ ١٦٢.

(٩١) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر/ ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة: مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠١، نقلاً عن محَمَّد عمارة، الإسلام في عيون غربية، مرجع سابق، صـ١٥٩.

(٩٢) د.محمدعمارة:"جامعالقرآن"بصحيفة المصريون،http://new.almesryoon.com/news.aspx?id=42655

فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعًا لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكماله وتهذيب أخلاقه.. وكذا نراه ناهيًا عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق، وكم فيه ما عدا ذلك أيضًا ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول"[٩٣].

٩-في كتابها "الحجُّ إلى مكَّة"، أو"البحث عن الله"تقول الليدي إفيلينكوبولد"الإنجليزية التي أسلمت"وذكرتُما جاء في القرآن عن خلق العالم وكيف أنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلق من كلِّ نوعٍ زوجين،وكيف أنَّ العلم الحديث قد ذهب يؤيِّد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدَّت أجيالاً عديدة"[٩٤]

ولقد اتفق المسلمون وبعضالمستشرقين الغربيين على أن القرآن هو المعجزة الخالدةللرسولﷺ:

١٠-يقول **المستشرق الإنكليزي بوسورث اسمث**(١٨١٥-١٨٩٢)في مقدمة كتابه:"الأدب في آسيا ":

"إن المعجزة الخالدة التي أداها محمد هي القرآن والحقيقة إنها لكذلك، وإذا قدرنا ظروف العمر الذي عاش فيه، واحترام أتباعه إياه احتراماً لا حد له، ووازناه بآباء الكنيسة أو بقديس القرون الوسطي، تبين لنا أن أعظم ما هو معجز في محمد نبي المسلمين أنه لم يدع القدرة على الإتيان بالمعجزات وما قال شيئاً إلا فعله وشاهده منه في الحال أتباعه، ولم ينسب إليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكروا مبدأ صدورها منه، فأي برهان أقطع من ذلك، ولقد كان محمد يذهب من آخر حياته كما ذهب من مبدأ أمره إلى أنه رسول الله حقاً، وإني أعتقد أن الفلسفة المسيحية المالية ستعترف له بذلك يوماً من الأيام"[٩٥].

١١-ويتحدث المستشرق الفرنسي الفونس آتيين دينيه (١٨٦١- ١٩٢٩م) عن حياة الرسول ﷺ الحافلة بالعظام، بأنه -عليه السلام- لم يعتمد في نشر الرسالة الاسلامية على الخوارق والمعجزات المادية وتلك مأثرة عظيمة له، يقول في كتابه:"محمد رسول الله":"والحق

(٩٣) عبد الله كويليام:العقيدة الإسلامية، صـــ١٣٩-١٤٠.
(٩٤)دكتور عبد المعطي الدالاتي، "ربحت محمداً ولم أخسر المسيح"صـــ٦٥، أ.د./ناصر أحمد سنه، كاتب وأكاديمي.
(٩٥) بورسورثاسمث: الأدب في آسيا، صـــ٩٧.

أنا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها، وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق"(٩٦).

(٩٦) ألفونس اتيين دينيه: محمد رسول الله، صـ٤٩.

١٢-شهادة المستشرق ميلر بروز:يقول المستشرق الأمريكي وأستاذ الآداب ميلر بروز: "إنه ليس هناك شيء لا ديني في تزايد سيطرة الإنسان على القوى الطبيعية، هناك آية في القرآن يمكن أن يستنتج منها أنّه لعل من أهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسان لكي يدرس علم الفلك ويستخدمه في حياته: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}(يونس-٥)**، وكثيرًا ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتباره إحدى الآيات التي تبعث على الشكر والإيمان:**{وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ* لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}**(الزخرف ١٢- ١٣) ويذكر القرآن – لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب – ولكن يذكر السفن أيضًا، فإذا كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة، أفلا يصدق هذا أكثر على سكة الحديد والسيارة والطائرة؟."

١٣-شهادة المفكر الفرنسي بوازار:يقول مارسيل بوازار عن القرآن الكريم: "لا بدّ عند تعريف النصّ القدسي في الإسلام من ذكر عنصرين، الأول أنّه كتاب منزّل أزلي غير مخلوق، والثاني أنه (قرآن) أي كلام حي في قلب الجماعة.. وهو بين الله والإنسانية (الوسيط) الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي غير ذي جدوى، لأنه مرضيٌّ به مرجعًا أصليًّا، وينبوع إلهام أساسي.. وما زال حتى أيامنا هذه نموذجًا رفيعًا للأدب العربي تستحيل محاكاته إنه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الأدبي الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربي والإسلامي الذي أبدعه لأن الدين الذي أوحى به هو في أساس عدد كبير من المناهج الفكرية التي سوف يشتهر بها الكتاب.."[٩٧].

١٤-شهادة الكاتبة الإنجليزية كارين أرمسترونج:تقول الكاتبة الإنجليزية كارين أرمسترونج (Karen Armstrong)[٩٨]:"فالقرآن دائمًا يحثُّ المسلمين على الصبر، وعلى تحمُّل معاناتهم بجلد وكرامة، كما أنه يُوَضِّح أن عليهم ألاَّ يتحيَّنُوا الفرص للانتقام الشخصي من

(٩٧) محمد نمر المدني، عقدة الأندلس وأسلمة أوربا، صـــ١٥٨

(٩٨) كارين أرمسترونج (Karen Armstrong)(١٤نوفمبر ١٩٤٤م-...) كاتبة بريطانية وباحثة في علم الأديان، ألّفت العديد من الكتب في مقارنة الأديان، كـــ (تاريخ الله)، (الكتاب المقدسسيرة ذاتية)، و(التحول الكبيربداية تعاليمنا الدينية)، و(سيرة النبي محمد).

أعدائهم، ويمكن ملاحظة قوة القرآن من خلال تغيير شعوب كثيرة في الإمبراطورية الإسلامية للغاتها، واستبدالها باللغة المقدسة للكتاب المقدس"(٩٩).

التحليل والاستنتاج: بالرغم من أنهم ليسوا عربا، وليسوا بمسلمين، لم تمنعهم عجمتهم وحرمانهم من تذوق اللغة العربية منذ نعومة أظفارهم؛ إلا أن تجردهم من الهوى ورفضهم لمغريات الدنيا دفعهم إلى إعطاء القرآن الكريم حقه، وإنزاله منزلته التي يستحقها، والشهادة له بالإعجاز والحفظ وعدم التحريف؛ ذلكم المنصفون من المستشرقين ومن غير المسلمين، في مقابل مستشرقين أجراء باعوا ضمائرهم وسخّروا أقلامهم للنيل من القرآن الكريم، وتجريده من العصمة والحفظ والاعجاز وقطع صلته بالوحي ونسبته إلى النبي ﷺ أو إلى أي أحد من البشر، وصدق الله عز وجل في وصف طائفة منهم:**{ليسوا سواء}**، وفي حفظ كتابه:**{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**.

المبحث الرابع: شهادات المستشرقين المنصفين للحضارة الإسلامية.

انطلاقاً مما حققه الإسلام من إصلاح في المجتمع العربي في تلك النقلة التاريخية الرائعة، يرى المستشرقون المنصفون هذه المعاني ويسجلونها في مؤلفاتهم ودراساتهم تشهد بها الأجيال على عظمة هذا الدين الحنيف:

١-**شهادة المستشرق الإيطالي ميخائيل إيمارى** في كتابه"تاريخ المسلمين "أن الإسلام بفضل كماله صالح لكل الأمم:"لقد جاء محمد نبي المسلمين بدين إلى جزيرة العرب يصلح أن يكون ديناً لكل الأمم لأنه دين كمال ورقي، دين دعة وثقافة، دين رعاية وعناية، ولا يسعنا أن ننقصه، وحسب محمد ثناء عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته"(١٠٠).

٢-**شهادة المؤرخ المؤرخ الألماني آدم مِتز(١٨٦٩-١٩١٧م):**"لقد خلَّت الدولة الإسلامية

(٩٩) كارين أرمسترونج: سيرة النبي محمد، ص١٩٨.
(١٠٠) ميخائيل ايماري: تاريخ المسلمين، ١٦٥/١.

بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائلَ الميراث، وأكثرَ المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به"، "أمرت الشريعة الإسلامية بعدم القسوة في تحصيل الجزية، ونهى الإسلام عن اتباع الأساليب القديمة القاسية من تعذيب، أو تكليف أصحابها ما لا يطيقون، وكانت الجزية تؤخذ مقسطة، وكان يُعفَى من الجزية بمصر جميع الأوربيين والرهبان المتبتلين، من المسيحيين والبطريرك، ومن الأمور التي تعجب لها كثرة عدد العمال، والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية"(١٠١).

٣-شهادةالشاعرة ساروجيننايدو(١٨٧٩-١٩٤٩م):"لقد كان الإسلام في المسجد عند أداء الصلاة، وفي ساحة الحرب إذ يقاتل المسلمون صفاً، وكانت عدالة الإسلام تطبق خمس مرات في اليوم، عندما كان الأمير والفقير يركعان ويسجدان كتفاً إلى كتف ... لقد شدتني مرات ومرات وحدة الإسلام التي لا تتجزأ والتي تجعل من الإنسان أخاً للإنسان ... "(١٠٢).

٤-شهادة المستشرق النمساوي جوستاف جرونيباوم(١٩٠٩-١٩٧٢م):"عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمدأنزلها "قرآنًا عربيًا"، والله يقول لنبيه:**{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}**(مريم: ٩٧)، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها؛ فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها – على ما سمعته – لغةً تضاهي اللغة العربية، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وتزيّن الدقة ومجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيرًا فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة خصائص جمة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة

(١٠١) آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ٧٥، ٨٧.
(١٠٢) مثاليات الإسلام، ساروجينينايدو صـ ١٦٩.

أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبيَّن ذلك أن الصورة العربية لأي مثل أجنبي أقصر في جميع الحالات"[١٠٣].

٥-شهادة المؤرخ روبرت بريغالعن الحضارة الإسلامية:يفند المؤرخ الأوروبي روبرت بريغال مزاعم الغربيين عن تأثر الإسلام بالتشريعات اليونانية الرومانية، فيقول: "إنّ النور الذي أُشعلت منه الحضارة في عالمنا الغربي لم تشرق جذوته من الثقافة اليونانية الرومانية التي استخفت بين خرائب أوروبا، ولا من البحر الميت على البوسفور (يعني بيزنطة)، وإنّما بزغ من المسلمين، ولم تكن إيطاليا مهد الحياة في أوروبا الجديدة، بل الأندلس الإسلامية".

٦-شهادة المستشرق جيبون أوكلي(١٧٣٧-١٧٩٤م):"ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور، فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنا من الزمان، لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية، فقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"هي ببساطة شهادة الإسلام، ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله، ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين"[١٠٤]، صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان: فالإسلام هو دين عام حسب قول المستشرق الفرنسي إتيين دينيه"صالح لكل زمان ومكان، فهو دين الإنسانية ودين المستقبل"[١٠٥].

٧- شهادةالدكتور ف. ف. بارتولد(١٨٦٩-١٩٣٠م):ولقد أكدت التجارب التاريخية القديمة مدى ثباته وصلاحيته، ولقد أثبت الإسلام خلال مئات السنين والأعوام مقدرته على

(١٠٣) المجلة العربية، العدد ٣٣٤، السنة ٢٩، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م
(١٠٤) إدوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب تاريخ إمبراطورية الشرق صـ٥٤.
(١٠٥) إتيين دينيه: محمد رسول الله، ٣٤٥.

البقاء، وضرب المثل الأعلى في الإخاء والمساواة"[١٠٦]

٨-شهادة المستشرق الإنجليزي صموئيل مارغوليوث (١٨٦٨- ١٩٤٠):من مدلول ثبات رسالة الإسلام وصلاحيتهيذهب صموئيل مارغوليوثالذي تحدث عن رسالة الإسلام في يوم مولد الرسول إلى أنها رسالة حضارة تحمل في ذاتها طابع صلاحية البقاء والاستمرار: "إن يوم ميلاد محمد ليوم عزيز على العالم لا على العرب فقط لأنه لم يولد إلا للأمر عظيم ألا وهو رسالته التي بلغها للعام فاعتنقها قوم وتركها آخرون، وهي طافحة بالحضارة والتعاليم التي تخدم البشرية وتوليها زمام الحياة، ولكنها رسالة أخذت بها أمة جهلت ما فيها، وخير ما فيها طابع صلاحية البقاء مع الزمن مهما طال وامتد"[١٠٧].

٩-شهادةالباحث الأمريكي وأستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد الدكتور هوكنج(١٩٤٢-٢٠١٨م):وتحت عنوان:**لا جمود في رسالة الإسلام** يقول الدكتور هوكنج: "ورسالة الإسلام التي لا تعرف الجمود وتدفع المجتمع الإسلامي إلى التقدم كفيلة في عصرنا الراهن بإصدار أحكام تتفق وروح العصر، وبما يكفل للدول المتخلفة أن النهوض، وللإنسانية التقدم، وأحياناً يتساءل البعض عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة، وإصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية:

فالجواب عن هذه المسألة، هو أن في نظام الإسلام كل استعداد داخلي للنمو، بل هو من حيث قابليته للتطور يفضل كثيراً النظم المماثلة... وإني أشعر بكوني على حق، أقدر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة للنهوض"[١٠٨].

١٠-شهادة المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار في كتابه:"إنسانية الإسلام "، عن القانون الإسلامي وعالميته وأنه قابل للتطبيقفيقول :"ويبقى القانون الإسلامي في أيامنا أحد الأنظمة القانونية الكبرى لا إن أنه ينظم العلاقات بين حوالي سبعمائة مليون نسمة. ويستلهم لإنشاء القواعد الدستورية في عدة بلدان. وتكبح القناعة الدينية جماح الوسط الاجتماعي برمته. والتصور الذي يفرضه التنزيل ماثل بشكل خاص في الجماهير الشعبية التي تزداد أهميتها

(١٠٦) ف. ف. بارتولد: نقلا عن مجلة الذكرى، العدد ٣، الدورة ١، صـ٦٤.
(١٠٧) صموئيل مارغوليوث: تاريخ سوريا ولبنان، نقلا عن كتاب محمد عند علماء الغرب صـ١٢٨.
(١٠٨) هوكنج نقلا عن كتاب الشيوعية والدين الإسلامي، صـ٥٧.

السياسية في موازاة تطور بعض الصيغ الديمقراطية. فكل حركة من الحركات يشتد تلونها بالدين بازدياد نفاذها إلى الجماهير، ويشكل الدين عنصراً حيوياً مؤثراً في العلاقات بين الأفراد والزمر والأمم، تزداد فعاليته تدريجاً على ما يبدو، وتؤكد الظاهرة، وتدعم قابلية القانون الإسلامي للتطبيق، وتسهم في الوقت نفسه مرونته ومطاوعته"(١٠٩).

وعن تصور بعض المستشرقين عن الحضارة الإسلامية وشموليتها:

١-قابلية الإسلام للتطور واستيعاب احتياجات العصر:يشير الدكتور **ازيكو بالتوخين** إلى قابلية الإسلام للتطور والتمشي مع مقتضيات العصر الراهن والحاجات المستجدة بما يمتلكه من قوة مرونة كانت سر تفوقه كشريعة على الشرائع الأوروبية، يقول بالتوخين:"إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل خلال القرون، ويبقى محتفظاً بكل ما لديه من قوة الحياة والمرونة. فهو الذي أعطى العالم أرسخ الشرائع ثباتاً، وشريعة تفوق كثيراً الشرائع الأوروبية"(١١٠).

٢-أصالة النظام الإسلامي ومرونته في استيعاب التحولات الاجتماعية:لقد ربط الإسلام الجانب الروحي بالدنيوي، وعمل على توجيه السلوك الفردي لصالح الجماعة، وإقامة المؤسسات العامة التي تسعى لصالح خير المجتمع، وكان التشريع الإسلامي البعيد عن الجمود رغم تخرصات الكثير من المستشرقين، والذي تحمل ذاتيته قوة التطور والتحول لما يمتلكه من مرونة في استيعاب التحولات الاجتماعية، قد ثبتت مكانته العالية ورفعة شأنه، ومن هنا ظهر الإسلام في مرحلتنا المعاصرة لشريعة عالمية إنسانية، كحل أمثل من الحلول المشتركة التي تطرحها فكرة مستقبل الإنسان والمجتمع، يقول بوازار:"ويعود الإسلام بصورة إجمالية إلى الظهور في العالم المعاصر بوصفه أحد الحلول للمشكلات التي يطرحها مصير الإنسان والمجتمع، ويخلق التطور السياسي الداخلي للدول حلولاً وتغييرات خاصة،وأصالة النظام الإسلامي الأولى في مفهومه للإنسان الاجتماعي الذي يعارض في آن معاً الشيوعية التي تلاشي الفرد في الجماعة، والليبرالية التي تعادي ما بين الفرد والمجتمع، ويكفل التضامن بين أفراد المجتمع احترام حقوق الإنسان داخل الزمرة وفي الخارج، ويضع الإسلام

(١٠٩) ماربيلبوازار: إنسانية الإسلام، صـ٤٢٦.
(١١٠) ازيكو بالتوخين: نقلاً عن كتاب قالوا في السلام صـ١٢٧.

ثم روحيته في مقابل المادية الوضعية التي تسلخ عن الإنسان إنسانيته، حائلاً بذلك دون أن تصبح الدولة يوماً "الإله الآلة "الذي عرفه الغرب، وينادي مذهبه القانوني باختصار: بالاستقامة، والعالمية السلمية، والواقعية، والاعتدال، وكلها فضائل متوافقة مع طبيعة الإنسان الروحية"(١١١).

ومن هنا تظهر أفضلية الرسالة الإسلامية على سواها من الرسالات السابقة على لسان المستشرقين والمفكرين الأوروبيين المنصفين، ومن هذا الاتجاه يدلي المستشرق الفرنسي شانليه في حديث عن رسالة الإسلام بقوله

"إن رسالة محمد هي أفضل الرسالات التي جاء بها الأنبياء، لأنها جاءت إلى الشعوب نقية من كل عيب، وخالية من كل نقص، بل إنه يوجد فيها من التعاليم القيمة مالا يوجد في غيرها من الديانات"(١١٢).

بينما تحدث المفكر بارتلمي سانت هيلر بإعجاب عن الرسول محمد ﷺ وعن الرسالة الإسلامية بقوله

"وقد كان دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده، جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته"(١١٣).

٣-انتصار الإسلام لصالح الإنسانية وخير العالم:وتحدث الفيلسوف الايرلندي برنارتشو بنظره الثاقب، عن مستقبل الإسلام وانتصاره انطلاقا من صلاحيته للحياة، وملاءمته للحضارة الصحيحة، وأن بالإسلام -مستقبلاً- صلاح الإنسانية وخير العالم، يقول:"إني أعتقد أن الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تكون حائزة لجميع الشرائط اللازمة وتكون موافقة لشتى مراحل الحياة، ولا تمض مائة عام، حتى تكون أوروبة-ولا سيما إنجلترا- قد أيقنت بملائمة الإسلام للحضارة الصحيحة"(١١٤).

ويتحدث بالمعنى ذاته:"لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أورباغدا ولن ينتعش العالم من كبوته، إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الإسلامية، ولا بد أنه منته إلى هذه النتيجة، في

(١١١) بوزار، صـ٤٣١-٤٣٢.
(١١٢) شانليه: المقتطف المجلد ٣، عدد ٧.
(١١٣) بارتلمي: نقلا عن كتاب محمد عند علماء الغرب.
(١١٤) برناتشو: نقلاً عن كتاب الإسلام في ضوء التشيع، ج ١، صـ١٩٧.

نحو قرنين من الزمان"[١١٥].

أما المفكر أرثر هاملتون، فيرى بدوره:"لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشاكل الإنسانية"[١١٦].

٤-الخيار الإسلامي في الجمع بين الدنيا والدين: تناول المستشرق النمساوي **ليبولد فايس** الذي اعتنق الإسلام وعرف باسم محمد أسد، في كتابه: الإسلام على مفترق الطرق، موضوع روح الإسلام الذي جاء لخير البشر جميعاً ولصالح الإنسانية قاطبة، والإسلام اليوم خيار يبرز على المستوى العالمي إلى جانب الخيارات الأخرى كعقيدة دينية ونظام اجتماعي سياسي، يقول محمد أسد:"نحن نعد الإسلام أسمى من سائر النظم المدينة، لأنه يشمل الحياة بأسرها: انه يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد والمجتمع، إنه لا يهتم فقط لما في الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى السوء، بل يتم أيضاً لما فيها من قيود طبيعية، إنه لا يحملنا على طلب المحال، ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد، وإلى أن نصل إلى مستوى أسمى من الحقيقة"[١١٧].

٥-الثقافة الإسلامية بين النهوض والتخلف: ويتابع المستشرق النمساوي المسلم عرض فكرته هذه ليرى مدى صلاحيتها فإذا ما بحث الإسلام، كثقافة إسلامية لعبت دوراً حضارياً عظيماً، ليرى إلى أين تسير، هل تمض إلى أمام أم تتراجع إلى الخلف يقول:"هذه إذاً حال الإسلام، ربما ظهرت كذلك عند إلقاء أول نظرة سطحية، كما لا شك فيه أن الثقافة الإسلامية شهدت نهضة مجيدة وعهداً من الازدهار، وكان لها من القوة ما يلهم الرجال جلائل الأعمال وأنواع التضحية، ولقد غيرت معالم الشعوب وخلقت دولاً جديدة"[١١٨].

ويقول الأمير البريطاني تشارلز: "إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين

(١١٥) برناتشو: نقلاً عن كتاب التكامل، ج ٢، صـ١٧٠، وقالو في الإسلام، صـ١٣٥.
(١١٦) أرثر هاملتون: المصدر السابق، صـ١٤٨.
(١١٧) ليوبولدفايس (محمد أسد): الاسلام على مفترق الطرق، صـ١٠٢-١٠٣.
(١١٨)ليوبولدفايس (محمد أسد): الاسلام على مفترق الطرق، صـ١٠٦.

والعلم، والعقل والمادة"[١١٩].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "لا إكراه في الدين، هذا ما أمر به القرآن الكريم، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها ! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه، إلى السادة الفاتحين[١٢٠].

ويقول المستشرق بول دي ركلا:"يكفي الإسلام فخراً أنه لا يقر مطلقاً قاعدة (لا سلام خارج الكنيسة) التي يتبجح بها كثير من الناس، والإسلام هو الدين الوحيد الذي أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور"[١٢١].

٦-**الإسلام دين التسامح:**يقول المستشرق بارتلمي سانت هلر:"إن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى"[١٢٢].

ويقول الكونت هنري دي كاستري: "درست تاريخ النصارى في بلاد الإسلام، فخرجت بحقيقة مشرقة هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف في المعاشرة، وهذا إحساس لم يُؤثر عن غير المسلمين فلا نعرف في الإسلام مجامع دينية،ولا أحباراً يحترفون السير وراء الجيوش الغازية لإكراه الشعوب على الإيمان"[١٢٣].

-**ويبين الشاعر غوته** ملامح هذا التسامح في كتابه (أخلاق المسلمين) ويؤكد إعجابه بروعة التسامح فيقول: "للحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته، إننا مدينون للمسلمين بالعدل والسلم والتساهل الديني، ومن الواجب أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه، وعلينا أن نتخذ (لا إكراه في الدين) شعاراً "[١٢٤].

---

(١١٩) الإسلام والغرب، محاضرة الأمير تشارلز في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣.

(١٢٠) شمس الله تسطع على الغرب، زيغريدهونكه صـ ٣٦٤-٣٦٦.

(١٢١) مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي ٨ / ١٣٣.

(١٢٢) مقدمات العلوم والمناهج، ١١٩/٨.

(١٢٣) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي صـ ١٩٤ – ١٩٦.

(١٢٤) الإسلام والمسيحية مع العلم والمدنية، الإمام محمد عبده صـ ١٦٢.

ويقول المستشرق لين بول: "في الوقت الذي كان التعصب الديني قد بلغ مداه جاء الإسلام ليهتف (لكم دينكم ولي دين)، وكانت هذه المفاجأة للمجتمع البشري الذي لم يكن يعرف حرية التدين، وربما لم يعرفها حتى الآن"(١٢٥).

٧-**الإسلام ملاذ الإنسانية:يقول المفكر آرثر هاملتون:** "لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية"(١٢٦).

ويقول الفيلسوف جورج برناردشو: "الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته ! ولقد كان الإسلام موضع تقديري السامي دائماً، لأنه الدين الوحيد الذي له ملكة هضم أطوار الحياة المختلفة، والذي يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور، قد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً، إذ ضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي فانصهر الجميع
في بوتقة واحدة"(١٢٧).

التحليل والاستنتاج:إن الرسالة التي حملها النبي محمدﷺ، لم تكن مطلقاً لشعب بذاته دون غيره، أو لجنس دون سواه، بل كانت رسالة عالمية... والرسول الكريم ﷺالذي بعثه الله كمصلح، ما انفك يناضل في الجزيرة العربية، حتى عم فضل الرسالة التي حملها فشمل الإنسانية جمعاء، وهذا ما ميزه عن سائر أصحاب الرسالات السابقة، فقد حمل كل نبي رسالة النور والهداية إلى أمه مخصوصة أو بلد مخصوص. وليس من ريب في أن تطهير النفس البشرية كانت هي رسالة كل منهم، ولكن هذه الرسالة كانت محدودة دائماً،أما رسالة محمد فكانت كونيه، ونوره كان عالمياً، ونطاق مشاركته الوجدانية كان يستغرق البشرية كلها(١٢٨).

<u>المبحث الخامس: الآثار العقدية لشهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين.</u>

من خلال عرض بعض النصوص التي سطرها المنصفون من المستشرقين ومن غير

(١٢٥) الإسلام، د. أحمد شلبي صـ ٢٩٦.
(١٢٦) محمد في الآداب العالمية المنصفة، محمد عثمان صـ ٦٢.
(١٢٧) ربحت محمدا ولم أخسر المسيح صـ٣١، الإسلام، د. أحمد شلبي صـ ٢٩٤.
(١٢٨)مولانا محمد علي ١٨٧٨م-٤يناير ١٩٣١م قائد وسياسي وصحفي وشاعر مسلم هندي.

المسلمين والتأمل فيها وتحليلها واستنباط نتائجها؛ يتبين أنها ليست حبرا على ورق، ولم تكن لأجل شهرة أو هوى ، بل كانت لها آثار عقدية عند كتابها وعند القارئ لها بل وعند المسلمين أيضا من هذه الآثار:

أولا– إسلام بعض المستشرقين المنصفين لِما رأوا من الآيات الباهرات المعجزات التي تضمنها كتاب الله تعالى، ودلائل صدق النبي ﷺ وسيرته العطرة التي وجدوا فيها أسوة حسنة ونموذجا يحتذى به في كل النواحي والمجالات، أذكر بعضا منهم على سبيل المثال لا الحصر فالبحث لا يتسع لحصرهم جميهامن هؤلاء:

١–ميشوبللر: مستشرق فرنسي تخصص في تاريخ المغرب الأقصى واجتماعياته، وكتب بالعربية والفرنسية.

٢–جوهن لويس بوركهارت (١٧٨٤ – ١٨١٧): سويسري تجنَّس بالجنسية البريطانية، درس الكيمياء والطب والفلك، ثم أتقن اللغة العربية، وتفقَّه في الدين الإسلامي، واعتنقه سنة ١٨٠٩، وتسمى باسم: إبراهيم بن عبدالله.

٣–فريتس كرنكوف (١٨٧٢ – ١٩٥٣): ألماني تجنَّس بالجنسية الإنجليزية، درس عدة لغات، من بينها العربية والفارسية والأردية، اعتنق الإسلام وأسمى نفسه: محمد سالم الكرنكوي، حقق كثيرًا من أمهات التراث بتكليف من دائرة المعارف العثمانية، وانتُخِب عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق.

٤–عبدالكريم جرمانوس: مجري من بودابست، تعلم العربية والتركية على فامبيري وجولد زيهر، أشهر إسلامه في مسجد دلهي الأكبر، وقَدِمَ القاهرةَ ليتعمَّقَ في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر، انتُخِبَ عضوًا في المجمع الإيطالي١٩٥٢، ومراسلاً للمَجْمَعِ اللغوي بالقاهرة ١٩٥٦، وفي المجمع العلمي العراقي١٩٦٢.

٥– نصر الدين دينيه (الفونس إيتيان دينيه:(هو الرسام العالمي)وُلِد في باريس عام ١٨٦١م.

٦– محمد أسد (ليوبولدفايس:(هو(Leopold Weiss) ، وُلِد عام ١٩٠٠م في مدينة (لوو) في شرق جلاسيا (Galacia) التي كانت في ذاك الوقت واقعة تحت حكم المملكة النمساوية المجرية، وينتمي إلى عائلة يهودية لها مكانتها العلمية والاجتماعية، فكان جده لوالده حاخامًا، وقد تلقى ليوبولد تعليمًا مكثفًا في كافة أفرع الديانة العبرية بالإضافة إلى تعلُّمه اللغة

الآرامية، وسافر إلى القدس عام ١٩٢٢م

٧- عبدالواحد يحيى غينون (رينيهغينون:(وُلِد الفيلسوف) رينيهغينون (في فرنسا عام ١٨٨٦م.

٨-رجاء جارودي(روجيه جارودي): تعلمفي المدرسة الإكليريكية،وكان شابا مسيحيًّا متدينًا، حارب النازية؛ لأنه كان يعادي كل فكر عنصري، وأعلنجارورديإسلامه في شهر رمضان عام ١٩٨٢م وأصبح اسمهرجاء جارودي، وأصدر كتابه الشهيروعود الإسلام.

٩- مراد هوفمانولد المستشرق الألماني هوفمانفي ١٩٣١م لأسرة كاثوليكيةوأعلن إسلامه عام ١٩٨٠م.

وهذه إشارة بسيطة لمن اعتنق الإسلام من الغربيين، وبرغم أن الكثير من الغربيين قد اعتنق الإسلام؛ مثل:

- يوسف إستس(القس الأمريكي السابق).
- جوته (الشاعر الألماني).
- كينيث جينكينز(القس الأمريكي السابق).
- كاتستيفس – يوسف إسلام (المطرب البريطاني)
- ركس إنجرام (المخرج السينمائي العالمي)
- محمد على كلاي (الملاكم العالمي)

هذا بجانب الآلاف الذين اعتنقوا ويعتنقون الإسلام في عصرنا الحالي وبشكل يومي[١٢٩].

ثانيا: تصحيح النظرة السيئة التي رسمها المستشرقون غير المنصفين في المجتمعات الغربية عن الإسلام والنبي ﷺ الأمر الذي أدى إلى اندماج الجاليات الإسلامية في المجتمعات الغربية ودخول كثير من الغربيين الإسلام.

ثالثا: تثبيت عقيدة كثير من المسلمين الذين جرفتهم المذاهب الفكرية والتيارات الغربية إلى التشكيك في دينهم وثقافتهم ومقدساتهم وتراثهم، خاصة إذا وجد هؤلاء المسلمون أن من يصحح لهم هم من الغربيين وليسوا من البلاد العربية والإسلامية.

(١٢٩) محمد طهطاوي، لماذا أسلم هؤلاء، صـ٦٣-٨٣، المنصفون للإسلام في الغرب صـ٢٢٢.

رابعا: إعادة تشكيل الخريطة الذهنية للساسة والقادة الذين وضعوا مخططاتهم للقضاء على الإسلام والمسلمين، في معادلة لم يتوقعوها، وميدان لم يألفوه، منن باب لا يقطع الشجرة إلا أحد أغصانها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله أولا وآخرا

الخاتمة وتشمل:

أولاً: نتائج البحث:

١. تصحيح النظرة العامة والسائدة عن الاستشراق والمستشرقين من أنهم–أي المستشرقين– مغرضون مأجورون من الكنائس والمؤسسات التنصيرية؛ لتشويه صورة الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

٢. وجود كثير من الكتابات الاستشراقية المنصفة للنبي ﷺ والقرآن الكريم والحضارة الإسلامية.

٣. عظمة الإسلام ومنهجه وحضارته، وأنه المنهج الإلهي الوحيد المحفوظ والصالح والمصلح لكل انحرافات البشرية، وذلك بشهادة القرآن نفسه وشهادة غير المسلمين وكذلك المنصفين من المستشرقين.

٤. حفظ الله لكتابه من التحريف والتبديل، وبيان إعجازه الذي لا يتناهى مع مرور الأزمنة والعصور.

٥. الهداية الذاتية للإسلام الذي يحمل وسائل دعوته في منهجه، ويجبر المنصفين والعقلاء على التأمل والانجذاب ثم الدخول فيه والدعوة إليه؛ رغم ضعف المسلمين وقلة حيلتهم، وضعف جهودهم في الدعوة إليه

٦. نقاء السيرة النبوية ونزاهة صاحبها ﷺ ووضوح أهدافها وروعة أحداثها، أبهرت الغرب وحملتهم على الإشادة بها والدعوة إلى دراستها واستلهام دروسها وعبرها.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. عقد مؤتمرات علميَّةٍ، تتناول إبراز شهادات المنصفين من المستشرقين ومن غير المسلمين للإسلام.

٢. تضمين المناهج الدراسية والجامعية كتابات غير المسلمين والإشادة بدورهم وجهودهم وإنصافهم.

٣. الخروج من دائرة الدفاع التبريري إلى الهجوم، وهذا منهج قرآني في الجدال مع الأمم والعقائد الأخرى، فقد فنّد عقائد النصارى واليهود وأوضح الانحرافات العقدية والفكرية والاجتماعية التي كانوا يمارسونها.

٤. إتاحة الفرصة لعلماء المسلمين أن يشاركوا في الندوات والمؤتمرات الاستشراقية؛ بالحضور والمشاركة، وإلقاء المحاضرات، ونشر الكتب والبحوث باللغات الأوروبية المختلفة حرصاً على أن يصل صوت الإسلام إلى العالم أجمع فقد آن الأوان أن يعرف العالم الإسلام من أبنائه المؤمنين به لا من غير المعتنقين له.

٥. تشجيع الغربيين الذين يظهر في دراساتهم بعض التوازن والاعتدال والإنصاف بالمساهمة في نشر إنتاجهم والترويج له، واستضافتهم في العالم الإسلامي في المنتديات الثقافية والفكرية .

٦. دعم المؤسسات ذات الإمكانات الكبيرة للإسهام في النشاط العلمي، كالبحوث والمعاجم والمخطوطات

٧. محاولة السيطرة على وسائل الإعلام بما تبثه من فكر مخالف للإسلام وتشجيع العلماء والأدباء المسلمين على ممارسة دورهم في هذا الجانب.

٨. الاتفاق على آلية عمل، وخطة استراتيجية، ترعاها المنظمات الإسلامية الكبرى؛ كرابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وغيرها، لبيان عظمة التشريع الإسلامي؛ وتزيل عن أعين العالم أجمع تلك الغشاوة التي وضعها أعداء الأمة،وندفع اتهامهم الإسلام ظلماً وزوراً بالوحشية والإرهاب والتطرف.

أهم المراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. ا.جآربري، المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن، وليم كولينز، ١٩٤٦م.

٣. ابن كثير،الفصول في سيرة الرسول ﷺ.

٤. إتيين دينيه، محمد رسول الله.

٥. أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.

٦. آدم متر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

٧. إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها.

٨. الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب ط١٩٨١ رضوان السيد الحياة ٢٠٠٣م.

٩. الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، عبد الله علي العليان، المركز الثقافي العربي،ط،١- ١٩٩٦م.

١٠. الإسلام نهر يبحث عن مجرى، الدكتور شوقي أبو خليل.

١١. الإسلام والغرب، محاضرة الأمير تشارلز في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣.

١٢. الإسلام والمسيحية مع العلم والمدنية، الإمام محمد عبده.

١٣. آصف حسين، "المسار الفكري للاستشراق"ترجمة مازن مطبقاني، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود١٤١٣هـ.

١٤. أصل دراسات الإسلام". ".P. M. Holt (الخرطوم) رقم ١، ١٩٥٢.

١٥. ألفونس اتيين دينيه، محمد رسول الله.

١٦. بارتلمي، نقلا عن كتاب محمد عند علماء الغرب.

١٧. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي.

١٨. ثابت عيد، "ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمي.

١٩. جمال بن محمد بن محمود، البيان في فضل الإسلام ونبيه العدنان.

٢٠. جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم ليندون هاريس.
٢١. جورج برنارد شو، عظمة الإسلام.
٢٢. الحسيني الحسيني معدى،الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة.
٢٣. حياة الحقائق، غوستاف لوبون.
٢٤. د.أحمد حسين النمكي، الإسلام في وجه الخطر الأوربي.
٢٥. د.عبد المعطي الدالاتي، "ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، أ.د./ناصر أحمد سنه، كاتب وأكاديمي.
٢٦. د.مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، صـ٧٦-١٠١ باختصار.
٢٧. ريجيسبلاشير، "القرآن، نزوله، ترجمته وتأثيره"، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤.
٢٨. السفر إلى الشرق، لامارتين.
٢٩. شمس الله تسطع على الغرب، زيغريدهونكه
٣٠. صحيح السيرة النبوية محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية –عمان– الأردن ١٩٩١م.
٣١. علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ.
٣٢. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٣٣. كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد.
٣٤. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
٣٥. لورا فيشيا فاغليري، "دفاع عن الإسلام"، نقله إلى العربية منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١هـ.
٣٦. لين بول، رسالة في تاريخ العرب.

٣٧. ليوبولدفايس (محمد أسد)، الاسلام على مفترق الطرق.
٣٨. مارسيل بوزار، إنسانية الإسلام.
٣٩. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره الفكري الإسلامي الحديث، دار الإرشاد بيروت ط١،١٩٦٩م.
٤٠. مايكل هارت المئة الأوائل الخالدون مئة أعظمهم محمد.
٤١. مثاليات الإسلام، ساروجينينايدو.
٤٢. المجلة العربية، العدد ٣٣٤، السنة ٢٩، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م
٤٣. محاصرة وإبادة – موقف الغرب من الإسلام، أ.د. زينب عبد العزيز.
٤٤. محَمَّد أمين حسن محَمَّد بني عامر، "المستشرقون والقرآن الكريم"، إربد، دار الأمل، ٢٠٠٤م.
٤٥. محمد شريف الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة.
٤٦. محمد عبد الواحد العسري،الفكر الإسلامي بالأندلس في تصورات الاستشراق الاسباني.
٤٧. محَمَّد عمارة. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
٤٨. محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. سيرة سيِّد المرسلين، القاهرة، دار نهضة مصر
٤٩. محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، جدة، دار المدني، ١٤٠٧هـ.
٥٠. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي . ط/مكتبة لبنان ١٩٩٨م.
٥١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٥٢. المؤرخ فيليب حتّي، مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي.
٥٣. موريس بوكاي. دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة، ط ٤ القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.
٥٤. موسوعة مقدمات المناهج والعلوم، أنور الجندي مجلد ٢١١/٨.

٥٥. مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، القاهرة، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١

٥٦. ميخائيل ايماري، تاريخ المسلمين.

المراجع الأجنبية،

٦٤. aleh J. Altoma. "The reception of Najib Mahfouz in American Publication."In *Comperatine and General Literature.* (Bloomington، Indiana University Press. 1993) p160-179 quoting George Young. *Egypt.* London، E. Benn, 1927. P284-85.

٦٥. oroe Berger. "Middle Eastern And North African Studies، Development and Needs."In Middle East Studies Association Bulletin, Vol.1. No.2, November 15,1967. ،

٦٦. Report of The Interdepartmental Commission of Inquiry of Oriental , Slavonic , European and African Studies (London, 1947

٦٧. .P. M. Holt. "The Origin of Islam Studies."In AL- Kulliya. (Khartoum) No.1, 1952,pp.20-27..

فهرس البحث

المقدمة	٢
موضوع البحث وأهميته	٣
منهجية البحث	٣
خطة البحث	٣
المبحث الأول: التعريف بالاستشراق ونشأته وأهدافه	٤
أولا: التعريف بالاستشراق والمستشرقين	٤
ثانيا: نشأة الاستشراق:	٥
ثالثا: أهداف الاستشراق	٦
المبحث الثاني: شهادات المستشرقين المنصفين للرسول ﷺ.	١٠
أولا: شهادات المنصفين من غير المسلمين على رسول الله محمد ﷺ في حياته	١٠

ثانيا: شهادات المنصفين من المستشرقين على رسول الله محمد ﷺ	١٥
المبحث الثالث: شهادات المنصفين من عير المسلمين والمستشرقين للقرآن الكريم	٢١
المبحث الرابع: شهادات المستشرقين المنصفين للحضارة الإسلامية.	٢٦
١- قابلية الإسلام للتطور واستيعاب احتياجات العصر	٢٩
٢- أصالة النظام الإسلامي ومرونته في استيعاب التحولات الاجتماعية	٢٩
٣- انتصار الإسلام لصالح الإنسانية وخير العالم	٣٠
٤-الخيار الإسلامي في الجمع بين الدنيا والدين	٣٠
٥-الثقافة الإسلامية بين النهوض والتخلف	٣٠
٦-الإسلام دين التسامح	٣١
٧-الإسلام ملاذ الإنسانية	٣١
المبحث الخامس: الآثار العقدية لشهادات المنصفين من المستشرقين وغير المسلمين	٣٢
الخاتمة وأهم النتائج	٣٤
أهم المراجع	٣٥
فهرس الموضوعات	٣٧